محفوظ عبد الرحمن

السيد الغضبان*

قبل أن يباغته المرض الأخير بساعات، هاتفني، وتبادلنا العتاب؛ فقد مرت شهور لم نلتق خلالها، وتواعدنا علي لقاء يجمع عددا من الأصدقاء المشتركين بعد عيد الأضحي، أغلقت الهاتف، وصوته الودود المشحون بالمحبة الخالصة يزيح أثقالا من القلق تسللت إلي نفسي، وكعادتي بعد أن نتهاتف أو نلتقي أشعر بحالة من السكينة الرائعة وأنا أسترجع موجات المحبة الصافية التي تتدفق في كل حرف من حديثه.

في اليوم التالي زلزل كياني خبر الأزمة الصحية التي تعرض لها بعد آخر مكالمة هاتفية ، أسرعت إليه، كانت الأزمة القاسية قد حرمته من الحديث المتدفق الذي كنا جميعا – أصدقاؤه ومن يلقاه- ينصت إله باهتمام، رغم الأزمة القاسية ملأت الإبتسامة وجهه، وتشابكت أيدينا ، وكل نظرة وكل لمسة نتبادل بها عبارات

---

* إعلامي وكاتب صحفي شهير بجريدة الوفد .

obeikan.com

المحبة والأشواق والأمل في أن يعبر الأزمة ويعود إلينا وإلي الشعب العربي كله، مواصلا إبداعاته التي أثرت الدراما العربية ووهبت هذه الدراما ملامحها المتميزة، ويبدو أن قلب الرجل قد أثقلته مشاعر القلق والحزن علي الشعب العربي الذي أحبه بكل الصدق ، وأضاء له مشاعل التنوير ليشق طريقه إلي مستقبل واعد.

توقف القلب، وصعدت روح الصديق العزيز إلي الرفيق الأعلي، تلقيت الخبر، وأنا بعيد عن القاهرة فلم أتمكن من وداعه الأخير. وفي سرادق العزاء، احتشد المثقفون والفنانون من كل الاتجاهات، الكثير منهم تحامل علي نفسه ولم يقبل أن يمنعه عارض صحي أو إعياء واضح من حضور العزاء، ليلتمس بعضا من ذكريات مع الأصدقاء، من بين الأصدقاء الذين جاهدوا الإعياء الشديد، الأستاذ وحيد حامد، الذي خرج لتوه من المستشفي رافضا كل النصائح الطبية بالراحة التامة، ولكنه أبي إلا أن يكون بين أصدقاء الراحل العزيز. تصادف أن كانت جلستي بجوار الصديق وحيد، ولم نستطع عند اللقاء أن نتبادل كلمات العزاء التقليدية؛ فقد خنقتنا العبرات وتحشرجت الأصوات.سادت لحظات صمت ..وتمالك الصديق وحيد حامد نفسه أخيرا والتفت لي ليقول هذا الرائع محفوظ عبد الرحمن لم يعرف «الكراهية»، كان إنسانا جميلا، يبشر في أعماله وفي حياته الخاصة بالحب، ويعزف أروع الألحان لكل ما هو جميل.

كلمات الصديق وحيد، حملتني في رحلة عبر الزمن، استرجعت خلالها حياة العزيز محفوظ، رأيته في كل أعماله رسول الحب والجمال، يبشر بهذه المشاعر النبيلة، ويمارسها في حياته الخاصة بكل الصدق. لم تستطع إغراءات- تستسلم أمامها أعداد هائلة من المثقفين- أن تجعله يكتب كلمة واحدة لا يؤمن بها، ظل طوال حياته راهبا في محراب «الكلمة الصادقة»، لا يكتب ولا يتحدث إلا بما يؤمن به وإن تعرض لمتاعب كثيرة . كان وطنيا للنخاع، مصر حياته، والعروبة هي الإطار الطبيعي الذي يحتضن مصر وتحتضنه مصر، والإنسانية كلها ساحته التي يبشر فيها بعالم يستمتع فيه كل البشر بالحب والجمال وتختفي منه منابع الشرور التي تغذيها الكراهية.

أخي العزيز محفوظ..ستظل رسالتك باقية ما بقي علي هذه الأرض إنسان يتأسي بك.

obeikan.com

obeikan.com